الدعاء عقب الصلوات المكتوبة مرغب فيه شرعا

الدعاء عقب الصلوات المكتوبة مرغب فيه شرعا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : " قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الأخير ودبر الصلاة المكتوبة " ومعنى أي الدعاء أسمع أي أقرب للإجابة ، ومعنى دبر الصلاة المكتوبة أي بعد الصلاة المكتوبة ،

وقد أخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال : " الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة " ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح وسكت عنه في أثناء شرحه لكتاب الدعوات في صحيح البخاري (باب الدعاء بعد الصلاة) ومما قاله رحمه الله – ابن حجر- في شرحه لهذا الباب :- أي المكتوبة ، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع ، انتهى كلامه رحمه الله.

مشروعية الدعاء بعد الصلاة متفق عليه

وتسمية الامام البخاري رحمه الله لهذا الباب بهذا الاسم يدل على مشروعية الدعاء بعد الصلاة ، وقد أرشد أئمة الإسلام من المذاهب الأربعة إلى استحباب الدعاء بعد الصلاة المكتوبة في مصنفاتهم منهم البخاري الشافعي في جامعه و الحافظ ابن حجر الشافعي في

شرحه لصحيح البخاري والإمام ابن الجزري الشافعي الدمشقي في كتابه (عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين) ومنهم الإمام النووي الشافعي في كتابه (الأذكار) وكتابه (المجموع) شرح المهذب وقد قال فيه : " فرع قد ذكرنا استحباب الذكر والدعاء للإمام والمأموم والمنفرد وهو مستحب عقب كل الصلوات بلا خلاف " ، وعليه الأئمة من المذاهب الأربعة الاّ أهل البدعة والضلالة .

فمن العلماء الذين نصوا على استحباب الدعاء بعد الصلاة كالفقيه الحنبلي منصور البهوتي في كتابه (كشاف القناع على متن الإقناع) و الامام ابن قدامه المقدسي الحنبلي في كتابه (المغني) ومنهم الإمام الونشريسي في كتابه (المعيار) وهو من علماء المالكية ، وغيرهم من الأئمة الأعلام .

أما بالنسبة للدعاء على وجه الخصوص

أما بالنسبة للدعاء على وجه الخصوص ، فقد وردت كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة التي ترغب في أدعية مخصوصة بعد الصلاة المكتوبة ، منها على سبيل المثال ما رواه البخاري ومسلم " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة قال لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " .

ومنها ما رواه البخاري عن سعد بن وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من دبر الصلاة بهؤلاء الكلمات " اللهم إني أعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر " ،

ومنها ما رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم "عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله أني لأحبك ثم قال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ".

وهذه الأدعية الواردة في هذه الأحاديث تستحب عقب كل صلاة مكتوبة من الصلوات الخمس كما يستحب عقب صلاة المغرب وعقب صلاة الصبح خاصة أن يضيف المصلي لما سبق الآتي : روى أبو داود " عن مسلم بن الحارث رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسرَّ إليه فقال:" إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل : اللهم أجرني من النار سبع مرات ، فإنك إن قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جوار منها ، وإذا صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها"

وروى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ " دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ قَالَ أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ فَإِنِّي صَائِمٌ ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ فَدَعَا لأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا " الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري : " وفيه مشروعية الدعاء عقب الصلاة ". وروى البخاري عن عمرو بن ميمون الأودي قال:كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر. فحدثت به مصعبا فصدقه.اهـ

وروى النسائي عن مسلم ابن أبي بكرة: أنه كان سمع والده يقول في دبر الصلاة اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر، فجعلت أدعو بهن فقال: يا بني إنى علمت هؤلاء الكلمات؟ قلت: يا أبتي سمعتك تدعو بهن في دبر الصلاة فأخذتهن عنك، قال: فالزمهن يا بني، فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوا بهن في دبر الصلاة.

افتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة

(فروع) يسن افتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة على النبي (ص)، والختم بهما وبآمين. وتأمين مأموم سمع دعاء الإمام، وإن حفظ ذلك. ورفع يديه الطاهرتين حذو منكبيه، ومسح الوجه بهما بعده. واستقبال القبلة حالة.اهـ فتح المعين – المليباري الهندي – ج ١ – الصفحة ٢١٧ .

رفع اليدين في الدعاء

وقد ورد السنة كثيرا من الأحاديث في رفع اليدين في الدعاء، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم كما في سنن أبي داود " إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها " وفي رواية للطبراني بسند رجاله ثقات " سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها " وروى بعض أصحاب السنن وأحمد بسند صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن ربكم تبارك وتعالى حَيِيٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا " – أي خاليتين – وهذا النص من أعظم المرغبات في الدعاء ورفع اليدين فيه ـ هذا في العموم ـ أما بخصوص رفع اليدين بعد الصلاة تحديدا ، فقد روى الطبراني بسند قال عنه الهيثمي في مجمع الزائد رجاله ثقات " إن محمد بن أبي يحيى قال رأيت عبد

الله بن الزبير رأى رجلا رافعا يديه قبل أن يفرغ من الصلاة فلما فرغ من الصلاة قال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يرفع يديه حتى يفرغ من الصلاة " .

وقال الامام الهيتمي في فتاواه: رفع اليدين سنة في كل دعاء خارج الصلاة ونحوها ومن زعم أنه صلى الله عليه وسلم لم يرفعهما إلا في دعاء الاستسقاء فقد سها سهواً بينا وغلط غلطاً فاحشاً... وعبارة العباب مع شرحي له (يسن للداعي خارج الصلاة رفع يديه الطاهرتين)، للاتباع رواه الشيخان وغيرهما من طرق كثيرة صحيحة في عدة مواطن منها الاستسقاء وغيره كما بينها في المجموع. وقال من ادعى حصرها فهو غالط غلطاً فاحشاً. انتهى. وهذه لكونها مثبتة مقدمة على روايتهما كان صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء... انتهى.الفتاوى الكبرى (١ / ٢٥٣) .

الدعوات المأثورة بعد الصلاة سبب لزيادة البركات

ففي بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم: (و) تندب (الدعوات المأثورة) وهي كثيرة؛ لمزيد بركتها وظهور الاستجابة بها...

ويسن آخر كل دعاء: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(والحمد لله، والصلاة) والسلام (على النبي صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه (أوله) ووسطه (وآخره)؛ للاتباع. والأفضل تحري مجامع الحمد، كـ (الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك). ومجامع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأفضلها: صلاة التشهد، لكن لا سلام فيها، فيزيد آخرها: وسلم تسليماً كثيراً طيباً مباركاً فيه اهـ ما شَرح المُقَدّمَة الحضرمية المُسمّى بُشرى الكريم بشَرح مَسَائل التَّعليم ص: ٥٠.

وفي فتح المعين بشرح قرة العين : قال شيخنا: أما المبالغة في الجهر بهما في المسجد بحيث يحصل تشويش على مصل فينبغي حرمتها،ويسن افتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ ، والختم بهما وبآمين. ورفع يديه الطاهرتين حذو منكبيه، ومسح الوجه بهما بعده اهـ فتح المعين – المليباري الهندي – ج ١ – الصفحة ٢١٧ .

صور الدعوات بعد الصلاة

الآولى : الإشتغال بالورد والدعاء من مصلاه بلا تحوّل للمنفرد والمأمومين ، والثانية : تحوّل الإمام بجعل اليمين إلى المأمومين فهذا هو الأفضل للإمام بالنسبة الى الغير ، والثالثة : التحول عن المصلى الى القريب وهو أيضا سنة.

الأدلة الفقهية في ذلك

قال الشيخ زين الدين المخدوم الثاني : (و) سن (ذكر ودعاء سرا عقبها) أي الصلاة أي يُسنُّ الإسرار بهما لمنفرد ومأموم وإمام لم يرد تعليم الحاضرين ولا تأمينهم لدعائه بسماعه اهـ (فتح المعين) .

فظهر أن الإتيان بالذكر والدعاء سراً لمنفرد و مأموم وأما الإمام فيجهر ليتسنى للمأموم التأمينُ والتعلمُ . وأن الذي في فتح المعين ندب ما اعتيد من دعاء الإمام جهرا وتأمين المأمومين عليه .

ثم صرح في فتح المعين أن الأفضل للمنفرد والمأمومين استقبال القبلة حالة الذكر والدعاء وللإمام الانحراف إلى المأمومين فقال : و[يسن]استقبال القبلة حالة الذكر أو الدعاء إن كان منفردا أو مأموما أما الإمام إذا ترك القيام من مصلاه الذي هو أفضل له فالأفضل جعل يمينه إلى المأمومين ويساره إلى القبلة .اهـ فتح المعين – المليباري الهندي – ج ١ – الصفحة ٢١٧ .

فهنا ثلاثة أمور : الجلوس مستقبل القبلة ، والقيام ، والانحراف بجعل اليمين إلى المأمومين فالأمر الثاني الذي هو القيام الذي حكم عليه الشيخ بأنه أفضل له إنما يكون

أفضل من الجلوس مستقبل القبلة فإن كلمة «أفضل» نكرةٌ فلا بد من تقدير مفضَّل منه كما قال ابن مالك رحمه الله :

وأفعل التفضيل صله أبداً ❊ تقديراً أو لفظاً بمِن إن جردا

فإذا قدرنا كلمة «منه» بعد أفضل يرجع ضمير «منه» إلى ما ذكر قبله وهو «استقبال القبلة» فيصير المعنى أما الإمام إذا ترك القيام الذي هو أفضل له من استقبال القبلة فقوله «فالأفضل جعل يمينه» الخ جواب «أما» ولا يحتاج قوله «فالأفضل» إلى تقدير مفضِّل منه لكونه معرفة بالألف واللام فأفاد أن الأفضل مطلقا للإمام أن يجعل يمينه للمأمومين لإتيان الذكر والدعاء .

وعلى هذا تدل عدة عبارات ففي فتاوى الرملي ما نصه: سئل عن الإمام إذا فرغ من صلاته وليس خلفه نساء هل السنة له القيام من مصلاه فورا أم جلوسه على الهيئة المذكورة أم انتقاله إلى مكان قريب منه فأجاب بأن السنة للإمام بعد سلامه تحويل وجهه إلى المأمومين بأن يجعل يمينه إليهم ويساره في المحراب على الأصح (فتاوى الرملي ٢/ ٦٧) .

وفي شرح البخاري لابن بطال عند شرح قوله ﷺ : « الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ » قال: فمن كان

كثير الذنوب وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابته لقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقد أخبر عليه السلام أنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، وتأمين الملائكة إنما هو مرة واحدة عند تأمين الإمام ودعاؤهم لمن قعد فى مصلاه دائمًا أبدًا ما دام قاعدًا فيه، فهو أحرى بالإجابة ... فعلى كل مؤمن عاقل سمع هذه الفضائل الشريفة أن يحرص على الأخذ بأوفر الحظ منها ولا تضرب عنه صفحًا اهـ . ونقله في مسلك الأتقياء (ص ٧٢) .

وفي مسلك الأتقياء أيضا : (فائدة) قال النووي في المجموع: قال الشافعي والأصحاب يستحب للإمام إذا سلم أن يقوم من مصلاه عقب سلامه وهذا لا ينافي الاشتغال بالورد إذ لا يلزم من القيام عقب السلام ترك الاشتغال به عقبه ولا من الاشتغال به عقبه ترك القيام عقبه وكذا لا ينافي ملازمة الإمام مصلاه لأن العلتين تنتفيان إذا حول وجهه إلى المأمومين أو انحرف عن القبلة كما ذكره الأذرعي اهـ .

وفي أسنى المطالب في شرح روض الطالب : قال الشافعي والأصحاب يستحب للإمام إذا سلم أن يقوم من مصلاه عقب سلامه إذا لم يكن خلفه نساء قال الأصحاب لئلا يشك هو أو من خلفه هل سلم ، أو لا ولئلا يدخل غريب فيظنه بعد في صلاته فيقتدي به اهـ . وهذا لا ينافي الأول إذ لا يلزم من القيام عقب السلام ترك الذكر عقبه ولا من

الذكر عقبه ترك القيام عقبه قال الأذرعي بعد نقله كلام المجموع ، والعلتان تنتفيان إذا حول وجهه إليهم أو انحرف عن القبلة . وعبارة الكافي وإن لم يكن وراءه نساء تحول عن موضع صلاته ليعلم الداخل أن الصلاة قد انقضت اهـ . ونحوه في مغني المحتاج .

المراد بالقيام في عرف الفقهاء

وأما المراد بالقيام في بعض عبارات الفقهاء ليس الانصراف من المصلى بدون ذكر أو دعاء بل المراد به عند جمهور العلماء تحوله عن القبلة بجعل يمينه لمن خلفه لئلا يشك الداخل إلى المسجد أو من خلفه أوالإمام نفسه هل سلّم من الصلاة أم لا ؟ وقال بعضهم : القيام هو الوقوف في مصلاه . ولم ينص أحد أنه يعدو من مصلاه عقب الصلاة بلا ذكر ودعاء ، قال القليوبي: ويندب للإمام بعد فراغه أن يتحول عن القبلة بحيث يعلم الداخل انه ليس في الصلاة وهذا مراد من عبرّ بالقيام ويندب جعل يمينه للقوم ولو حال دعائه (قليوبي ١/ ١٧٥) .

وفي الشرواني: قال الأصحاب لئلا يشكّ هو أو من خلفه هل سلّم أو لا ولئلا يدخل غريب فيظنه بعد في صلاته فيقتدي به اهـ قال الأذرعي: والعلتان تنتفيان إذا حوّل وجهه إليهم أو انحرف عن القبلة (شرواني ٢/ ١٠٥) .

الجهر بالدعاء

صرح الأئمة بندب جهر الإمام بالدعاء الجَماعيّ بعد الصلاة المكتوبة بحيث يسمع المأموم حتى يُؤَمِّنَ على دعائه.

؛ يقول الشيخ زين الدين المخدوم في كتابه الأجوبة العجيبة : سألت عن إمام يدعو بعد المكتوبة ولم يُرد تعليم الحاضرين لعدم قدرتهم على التعلم بمجرد السماع فهل الأولى له أن يجهر بالدعاء ليسمعوا ويؤمنوا لدعائه أو لا وهل الأولى للمأمومين الذين يحفظون الدعاء أن يؤمنوا لدعاء الإمام أو يدعوا مع سماعهم دعاءه فأجاب شيخنا عبد العزيز الزمزمي بأنه إذا أمكن للحاضرين التعلم ولو بتكرار السماع مرة بعد أخرى جهر به كما هو ظاهر إطلاقهم بل قال الزركشي من مقتضيات الجهر أن يجهر به حتى يؤمّنوا عليه ومن هنا يؤخذ أن الأولى له أن يجهر به بمجرد هذا القصد وأن الأولى أن يؤمنوا على دعائه وإن حفظوه ويؤيده تصريحهم في صلاة الاستسقاء بأنهم يؤمنون إذا جهر ويسرون إذا أسر اهـ .

وفي معارف السنن : فهذه وما شاكلها من الروايات في الباب تكاد تكفيهم حجة لما اعتاده الناس من الدعوات الاجتماعية دبر الصلوات اهـ .

الدُّعَاءُ الْمُجَرَّبُ بَعْدَ الصَّلاَةِ

من دعاء عبد الله بن المسعود رضي الله عنه

إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لاَ يَرْتَدُّ ، وَنَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ ، وَمُرَافقَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم فِي أَعْلَى جَنَّةِ الخُلْدِ.

٦٢٢٠/ ٢- رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صحيحه : أَنْبَأَنَا أَبُو خَلِيفَةَ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ ، عن زر بن حبيش ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ قَائِمًا يُصَلِّي ، فَلَمَّا بَلَغَ رَأْسَ الْمِئَةِ مِنَ النِّسَاءِ أَخَذَ يَدْعُو ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم : سَلْ تُعْطَهُ ثَلاَثًا فقَالَ : إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لاَ يَرْتَدُّ ، وَنَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ ، وَمُرَافقَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ. إتحاف الخيرة المهرة للعسقلاني- (٦ / ٤٧٢).

أخرجه ابن حبان، ٥/ ٣٠٣، برقم ١٩٧٠، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، ورواه أحمد من طريق آخر، ٧/ ٣٥٩، برقم ٤٣٤٠، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨٦٩، والحاكم، ٣/ ٣١٧، وبنحوه الطبراني في الكبير، ٧/ ٤٥٣، برقم، وحسنه في السلسلة الصحيحة، تحت رقم ٢٣٠١، وفي التعليقات الحسان، برقم ١٩٦٧.

شرح هذا الحديث:

هذا الدعاء العظيم من الأدعية العظيمة؛ لاشتماله على أعظم المقاصد، وأرجى المطالب، وأعلى الأماني في الدنيا والآخرة، فقد دعا به من خيرة الصحابة الميامين عبد اللَّه بن مسعود رضى الله عنه في مرافقة سيد الأولين والآخرين في أعلى جنات النعيم، ولا شك أن هذا أعظم وأعلى المنازل؛ ولهذا كان رضى الله عنه يلازم هذا الدعاء في خير الأعمال، وأفضلها، ألا وهي الصلاة، فقد كان رضى الله عنه يقول: **((قد صليت منذ كذا وكذا، ما صليت فريضة ولا تطوعاً إلا دعوت اللَّه به في دبر كل صلاة))**، تاريخ ابن عساكر، ٣٣/ ٩٦، وبنحوه أحمد، ٧/ ٣٥٩، برقم ٤٣٤٠ . ويقول رضى الله عنه **((إنه من دعائي الذي لا أكاد أن أدع))** صححه المحقق في تعليقه على مسند أحمد، ٦/ ١٧٨، برقم ٣٦٦٢،أي هذا الدعاء، وهذا يدل على كمال همّته، وشدّة حرصه لمطلوبه، وسبب هذا الدعاء، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وهو مع أبي بكر وعمر، وإذا ابن مسعود يصلي، وإذا هو يقرأ (النساء)، فانتهى إلى رأس المائة، فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم **((اسأل تعطه، اسأل تعطه))**. مسند أحمد، ٧/ ٣٥٩، برقم ٤٣٤٠، ومسند ابن راهويه، ١/ ٨٤، وحسنه في السلسلة الصحيحة، ٥/ ٣٧٩، برقم ٢٣٠١، وصححه بشواهده في تعليقه على المسند، ٧/ ٣٥٩.

قوله: ((**اللَّهم إني أسألك إيماناً لا يرتد**)): أي أسألك يا اللهَّ إيماناً ثابتاً قوياً، لا شكّ فيه، ولا تردّد، وأن تعصمني من الوقوع إلى الردّة وهي الكفر، وهذا أعظم مطلوب في الدنيا؛ لأنه أفضل الأعمال عند اللهَّ تعالى، فعن عبد اللهَّ بن حُبشي الخثعمي أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل: أي العمل أفضل؟ قال ((**إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ**)). النسائي، كتاب الزكاة، جهد المقل، برقم ٢٥٢٦، والسنن الكبرى له، ٢/ ٣١، برقم ٢٣١٧، وأحمد، ٢٤/ ١٢٢، برقم ١٥٤٠١، والبيهقي، ٣/ ٩، وصححه في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٥٠٤، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٣١٨. وقدم دعاءه في سؤال اللهَّ تعالى الإيمان الثابت قبل سؤاله أعلى الجنان؛ لأنها لا تنال هذه المنزلة العلية إلا بالإيمان الكامل.

قوله: ((**ونعيماً لا ينفد**)): أي نعيماً دائماً لا ينتهي، ولا ينقص، ولا ينقطع، وهو نعيم الجنة، قال اللهَّ تعالى:"إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ"، أما النعيم في الدنيا، فهو زائل، ومنقص، قال اللهَّ تعالى: "مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهَّ بَاقٍ".

وقوله: ((**ومرافقة نبينا محمد في أعلى جنة الخلد**)): بعد أن سأل اللهَّ النعيم المقيم في الجنة، سأل اللهَّ الكريم العظيم أن يكون مرافقاً للنبي صلى الله عليه وسلم في أعلى درجة من الجنة، وهو من عطف الخاص على العام؛ لعظم أهمية هذه المرتبة والمنزلة، فهي أعظم النعيم، وأرفعه، وأكمله، وأعلاه، في أن يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات الجنان، ولا شك أنه أعظم مطلب أخروي، عظم رغبته رضى الله عنه عملاً في قوله صلى الله عليه وسلم((**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُولَنَّ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ**

وَلَكِنْ لِيُعْظِمْ رَغْبَتَهُ فَإِنَّ اللهَّ عز وجل لَا يَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)). مسند أحمد، ١٦/ ٦، برقم ٩٩٠٠، وقال محققو المسند: ((إسناده صحيح على شرط مسلم)). وفي حديث لمسلم، برقم ٢٦٧٨: ((إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)).

وهذا السؤال على الطَّريق الغَيْـبِـيِّ كسوال الربيعة الصحابي الجليل رضي الله عنه ، فقد روى الامام المسلم في صحيحه ، مانصه: عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي : سَلْ ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ. رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه ١/ ٣٥٣ (٤٨٩).

وقوله: ((**في أعلى درجة الجنة**)): لأن في الجنة مائة درجة، قال صلى الله عليه وسلم ((فإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)). صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، برقم ٢٧٩٠ ، والترمذي، واللفظ له، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة، برقم ٢٥٣٠ .

وأعلى درجة هي الفردوس الأعلى، قال النبي صلى الله عليه وسلم ((**والفردوس أعلاها درجة**)) . الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة، برقم ٢٥٣١

، وأحمد، ٣٧/ ٣٦٩، برقم ٢٢٦٩٥، وابن أبي شيبة، ١٣/ ١٣٨، برقم ٣٥٢١١، والضياء في المختارة، ٣/ ٣٣٧، وصححه في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٢١، وصحيح الترمذي، برقم ٢٥٣١.

ولهذا حثنا صلى الله عليه وسلم أن نسألها: ((**فإذا سألتم اللهَّ تعالى فسلوه الفردوس الأعلى**)). أخرجه الطبراني في الكبير، ٣/ ٢٣١، برقم ٣٢٣٥، وابن حبان، ٣/ ٢٣٨، برقم ٩٥٨، وصححه في التعليقات الحسان، برقم ٩٤٥، وأصله في صحيح البخاري، برقم ٢٧٩٠، ورقم ٧٤٢٣. وقال صلى الله عليه وسلم ((**إذا سألتم اللهَّ تعالى فأسألوه الفردوس، فإنه سر الجنة**)) أخرجه الطبراني في الكبير، ١٨/ ٢٥٤، برقم ٦٣٥، والبيهقي في البعث والنشور، ص ٢٣١، وصححه في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢١٤٥، وصحيح الجامع، برقم ٥٩٢.أي أفضل موضع فيها.

وفي رواية أخرى عنه أنه دعا فقال: ((**ومرافقة محمد في أعلى عليين في جنانك، جنان الخلد**)). رواه الحاكم ٣/ ٣١٧، وصححه ووافقه الذهبي، وبنحوه في مسند أحمد، ٧/ ٣٥٩، برقم ٤٣٤٠، وابن حبان، ٥/ ٣٠٣،وصحح إسناده بشواهده في تعليقه على المسند، ٧/ ٣٥٩، وحسنه في التعليقات الحسان، برقم ١٩٦٧. وهذه الرواية تفسر الرواية السابقة، وهي سؤاله أن يكون في أعلى الجنان، لأن ((العليّين))، صيغة مبالغة من العلوّ، علوّ المكانة والارتفاع، وعلوّ المنزلة والقدر في الجنة، قال اللهَّ تعالى: "كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ" ثم فخمه وعظم مرتبته وشأنه "وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ *يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ" . سورة المطففين، الآيات: ١٨-٢١ .

قال الامام الفرّاء: عليون ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له(معاني القرآن، ٣/ ٢٤٧.)، ووجه هذا أنه منقول من جمع عليّ من العلو، قال الامام الزجاج: هو أعلى الأمكنة.

قال الحافظ ابن كثير: والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولعظم شأن هذا المكان قال اللهَّ تعالى" يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ" (سورة المطففين، الآية: ٢١) أي الملائكة المقربون.(تفسير ابن كثير ص ١٦٩٣) .

ولقد جاء في السنة المطهرة ما يدلّ أن عليين هو أعلى مرتبة، وأسمى منزلة، فقد جاء في حديث طويل عن عبد اللهَّ بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أدنى أهل الجنة منزلة ... فيقول اللهَّ جلّ ذكره له: **((أَلَمْ تَرْضَ أَنْ أُعْطِيَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقْتُهَا إِلَى يَوْمِ أَفْنَيْتُهَا وَعَشَرَةَ أَضْعَافِهِ؟، ثم ذكر ما له من نعيم ما لا يتصور عقل، ولا يصفه واصف...فَقَالَ عُمَرُ رضى الله عنه أَلا تَسْمَعُ مَا يُحَدِّثُنَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ (عبد الله بن مسعود) يَا كَعْبُ عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً، فَكَيْفَ أَعْلاهُمْ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ، إِنَّ اللهَّ عز وجل جَعَلَ دَارًا، فَجَعَلَ فِيهَا مَا شَاءَ مِنَ الأَزْوَاجِ، وَالثَّمَرَاتِ، وَالأَشْرِبَةِ، ثُمَّ أَطْبَقَهَا، ثُمَّ لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنَ خَلْقِهِ، لا جِبْرِيلُ وَلا غَيْرُهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ، ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ: " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"، قَالَ: وَخَلَقَ دُونَ ذَلِكَ جَنَّتَيْنِ، وَزَيَّنَهُمَا بِمَا شَاءَ، وَأَرَاهُمَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ نَزَلَ تِلْكَ الدَّارَ الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيَخْرُجُ فَيَسِيرُ فِي مُلْكِهِ، فَمَا تَبْقَى خَيْمَةٌ مِنْ خِيَمِ الْجَنَّةِ إِلا دَخَلَهَا مِنْ ضَوْءِ وَجْهِهِ، فَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِيحِهِ، فَيَقُولُونَ: وَاهًا لِهَذَا الرِّيحِ!**

هَذَا رِيحُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ، قَدْ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ)). الطبراني في المعجم الطبير، ٨/ ٣٠٩، برقم ٩٦٤٨، وصححه في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٥٩١. وقوله وَاهًا أي عجباً.

فانظر في اللهَّ علوّ هذه المنزلة، وتأمّل ما جاء فيها من النعيم المقيم، ألا يهفو قلبك إلى هذه المنزلة العظيمة الأبدية؟ ألا تريد أن تكون من ساكنيها أبد الآبدين، لا تحول عنها ولا تزول، فشمِّرْ يدَ الجدّ في الدعاء من الأن، وأكثر من هذين الدعاءين في النهار، وفي كل فرض ونفل، كما كان يفعل هذا الصحابي الجليل مع حسن الظن باللهَّ ذي الجلال والإكرام، وأكثر طرق الباب، فإنه سوف يُفتح، قال أبو الدرداءرضى الله عنه ((**جدّوا بالدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له**)). المصنف لابن أبي شيبة، ١٠/ ٢٠٢، وعبد الرزاق، ١٠/ ٤٤٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٥٢، .

وتذكَّرِ الحديث القدسيَّ، واجعله دائماً أمام عينيك، عن ربِّ العزة والجلال أنه قال: ((يَا عِبادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)). مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلمة، برقم ٢٥٧٧ .

وقوله المخيط: الإبرة، والمعنى لا ينقص شيئاً أصلاً، وضرب المثل بالمخيط في البحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة.

فأكثر من هذه الدعوة يا عبد اللهَّ، وكنْ عظيم الهمة والرغبة في ليلك ونهارك، وفي كل صلواتك، واقتدِ بهذا الصحابي الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم **((اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، وتمسكوا بعهد ابن مسعود))**. أحمد، ٣٨/ ٢٨٠، برقم ٢٣٢٤٥، والترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا كليهما، برقم ٣٦٦٢، وابن أبي شيبة، ١٢/ ١١، والحاكم، ٣/ ٧٥، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه في صحيح الترمذي، برقم ٢٢٨٩٥، وفي صحيح ابن ماجه، برقم ٧٩، وقال الحافظ في الإصابة: إسناده صحيح.

والذي قاله عنه أبو حذيفة رضى الله عنه **((كَانَ أَقْرَبُ النَّاسِ هَدْيًا وَدَلًّا وَسَمْتًا بِرَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم))**. الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، برقم ٣٨٠٧، وأحمد، ٣٨/ ٣٦٦، برقم ٢٣٣٤١، وابن أبي شيبة، ١٣/ ٤١١، والطبراني في الكبير، ٩/ ٨٦، وصححه في صحيح الترمذي، برقم ٢٩٤٤.

هذا ما تيسر جمعه في هذه الرسالة، أسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه، أولاً وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. الجمع والترتيب الاستاذ/ محمد عبد المجيد بن محمد الباقوي الكامل الثقافي المدكودي المليباري الهندي عفي عنه . ٥/ ١٢/ ٢٠٢٠م يوم السبت .